الصباح مقامات

العدد 1464 - السنة الخامسة
الجمعة 6 ربيع الأول 1434 - الموافق 18 يناير 2013
Friday 18 january 2013 - No.1464 - 5th Year

جُمعة الوداع للشاعر وديع الأحمدي بين اللحم والعظام

وديع الاحمدي

محمد مهاوش

مطر، وكن السما: تكلي، تفضفض مداد
والأرض تشرب: دموع الغيم/ تنبت: كمد
شوارع تُضيق/ تتلحّف: ثياب الحداد
يسولف ترابها طيبه وطُهر وجلد
جبال تومي لـ: بعضها بين ظنّ وَ وكاد
تخاف صوت الوداع يهدها لا صعد
نهار يرحل، ويسرف بالعيون السواد
يكحّل أطرافها ويشقّ فيها لحد
عظيم هذا الحزن، غطى البشر والجماد
وجيه ضاعت ملامحها حنين وجهد
أرواح تسقي بذكراها ورود الوداد
ويرجع العود بين احضانها للمهد
يشبّ جمر الحكايا من سنين الجهاد
وطيبها يفوح/ يدفي من بحزنه برد
تتزاحم الأدعية على لسان العباد
كل حرف يسبق خويه لـ أجل يرقى: مدد
يا عمّ، وان سال حرفي في وداعك بلاد
هو يوفي اللي فـ روحه الف بحر وبلد؟!
على ضفاف ابتسامك للمودة معاد
وعلى يمينك شمالك كم تفيض بـ حسّد!
جمعت هالحب في خيمه وصرت العماد
والسيوم دار المحبة راسيه للأبد
يا عمّ، واللي بذرته، طل يوم الحصاد
ظلال وغصون وثمار وورود وشهد
كذا رحيل الجواد: يكون مثله جواد
من أعظم الحزن لـ أعظم خير مفه انفقد
مطر، وهذي السما تكلي فـ ثوب الحداد
ضاقت، وطاحت: فدحضن الأرض تبكي سعد

الحزن يشعل الفؤاد بالحنين والشوق والذكريات لكنه يصيبه في الوقت ذاته بالفراغات اللانهائية ، الفراغات التي تجعل صاحبها يحس بوخز طنين الصمت يخترق مشاعره قبل مسامعه ، فهذه الفراغات هي اللحظة الإنتاجية التي تفجر مخزون الغضب في النفس على تداعيات الواقع المؤلم ، لأن هذه الحالة تجعل المرء في توحد تام ومنعزل عن المحيط المكاني والإنساني والزماني المتصل فيه ، وهذا الوضع يخلق من صاحبه إما إنسان تائه في فراغ مفتوح أو مبدع يعيد ترتيب ما تشظى من مشاعره وأفكاره من أجل إعادة صياغته من جديد

هذه الحالة ما لمستها مع نص الشاعر وديع الأحمدي الذي انقلبت لديه الدلالات القاموسية للكلمات لتشكل واقعا شعريا جديد ، حيث كل شيء جميل في الأساس تحول نقيضه " مطر – تشرب – السما تكلي – " وهكذا حيث يتحول المطر إلى دموع والأرض أصبحت تشرب " دموع الغيم " علاوة على أن " السما تكلي " كدلالة على الشعور بالظلمة وكبر الفاجعة ، لكن في المقابل الشعري لا الواقعي يتحول الموت من كائن بشع تشمئز من ذكره النفوس إلى قيمة شعرية جميلة تمنح النص الشعري مساحات أرحب للبوح والكتابة والتأمل ، إذ نجح الشاعر على تحويل القبح إلى جمال واستطاع قلب المعادلة المعجمية للألفاظ ومنح الرموز الشعرية للوحية بالحياة والخصوبة منحها سمات أخرى لا تمت لها في الأساس ، وهذه المعادلة الشعرية بحاجة إلى يقظة شاعر وموهبة فنان تمكن صاحبها من الحركة ضمن نطاق التناقضات

مطر، وكن السما: تكلي، تفضفض مداد
والأرض تشرب: دموع الغيم/ تنبت: كمد
شوارع تُضيق/ تتلحّف: ثياب الحداد
يسولف ترابها طيبه وطُهر وجلد
جبال تومي لـ: بعضها بين ظنّ وَ وكاد
تخاف صوت الوداع يهدها لا صعد
نهار يرحل، ويسرف بالعيون السواد
يكحّل أطرافها ويشقّ فيها لحد

حيث تلتقي التناقضات ما بين الأشياء لتصبح هذه الأشياء المتناقضة متساوية في نظر الشاعر " السما والأرض / مطر ودموع / نهار وسواد " وتلاقت فيها بعض الأشياء " مطر = دموع الغيم / تشرب دموع = تنبت كمد / نهار يرحل = يشق فيها لحد " حيث هذه الأشياء تشير إلى تداخل الموضوعي الكوني بالذاتي الإنسان الخاص بالشاعر ، إذ تظهر من الوهلة الأولى في هذا النص شخوص الموضوع الواقعي الكوني راسما أبعد هذا المشهد الجنائزي الحزين الذي تداخلت فيه التناقضات حيث هذه الأشياء تشير إلى تداخل الموضوعي الكوني بالذاتي الإنسان الخاص بالشاعر ، فهذا النص لا يتحدث عن الموت كظاهرة بل يتحدث عنه كحالة ، حيث تشير هذه الأبيات إلى سيل جارف من الأسئلة التي تفتح الجراح وتسكن ما بين المفاصل من أجل أن تبث الحياة في الخلايا الميتة ، لكن هذه الأسئلة لا تبدأ بكيف أو هل أو متى أو أين أو لماذا ، لأنه نص شعري لا تقريرًا صحفيًا ، لذا لا ينتهي الأسئلة المطروحة بعلامات استفهام تنتظر الإجابة

في العادة يرثي الشاعر والده أو والدته أو أخاه أو أخته أو زوجته وهناك من رثى المدن والممالك والديار ، لكن أن يرثي المرء عمه ، هنا نقطة استثنائية لحدث إنساني عابر ، لا أكتم الجميع هذا السر أنني قراتها في حالة اللامبالاة أول مرة ، لا أدري لِمَ قراتها ؟ أو كيف ؟ أو في أي حالة قراتها ؟ ، غير أنني حينما صرت في منتصف الطريق ، وجدت من الضرورة أن أعود من حيث بدأت ، فأعدت قراءتها بروح المتأمل المفكر الناقد ، وعندها وجدت في هذه الأبيات نفسية إنسان تتأمل الموت وتحدق فيه ، وتقرأه من خلال تأثيره على الواقع ، وأن هذه النفسية انغمست في المجموع لكي يتحول هذا المجموع الكلي المتراكم في الحياة إلى حالة ركامية لا تعترف بالحدود والضوابط ، ولا تخضع لإرادة الموت كإرادة قابضة للحياة بل خضعت للموت كحالة منحتها كل هذا التفكير والتأمل ، وقد أجاد الشاعر الربط فيما بين الذاتي الشخصي وبين الموضوعي الكوني وما بين ما هو

خيالي تأملي وبين ما هو واقعي ارتباطي حياتي ملموس " مطر– السما – الأرض – شوارع– جبال – نهار – ظلال وغصون وثمار وورود وشهد " إذ شكلت لديه هذه القدرة على المزاوجة بين هذه التناقضات القدرة على السباحة مع التيار كحزن قائم بحد ذاته وكذلك السباحة عكس التيار من خلال إعادة تشكيل رؤيته الذاتية للحزن والموت على حد سواء ، وذلك من خلال التقاط هذه المشاعر والحديث عنها وفق رؤيته الشعرية التي تعنيه هو بالدرجة الأولى

وهنا تبرز أمامنا دفقة جمالية فنية عكست لنا التجربة الإنسانية ومعاناتها مع الموت في قالب شعري فني جمالي ، فقد شاءت الظروف أن يكون هذا الشاعر الحساس في مواجهة قدرية مع الفقد من خلال موت عمه الذي حرك فيه الساكن وفجر فيه ينابيع الحزن مما منح لغته الشعرية هذه القدرة على الاتساع والانقلاب على اللغة المعجمية القاموسية مشكلا لنا لغة دلالية تعني الشاعر بالمقام الأول وترتبط بتداعيات هذا المشهد الحزين الجنائزي . لقد قدم لنا الشاعر قصيدة خضراء يانعة الجمال لمشهد جنائزي أحمر متمثلا بالموت ، لهذا فقد قلب الاخضرار إلى احمرار غير أنه لم يقدم الأحمر / الموت ، كما هو بل رسمه بروح شاعرية وقدرة قدرة على إعطاء المواقف المخيفة القبيحة وقعًا ومنظرًا مساحة عميقة من الجمال

فعلى الرغم من كون النص الذي كتبه الشاعر هو رثاء قام به إنسان لعمه الذي فارق الحياة لكنه بالنسبة للشعراء هو عبارة عن ندب الإنسان للإنسان وإحساس ممتد مع عبثية الموت في انتقائه ووحشيته في كيفية سلب الحياة من الناس منذ جلجامش إلى ما شاء الله في هذه الحياة ، لهذا جاءت هذه الكلمات مسكونة بهاجس الألم وتقديس كل ما هو حزن ومأساة دون الإشارة لمزايا المرثي لأن الشاعر مشغول بالحزن لا تعداد صفات المفقود ، وعليه كانت اللغة الشعرية هنا مكتنزة بالعذاب المنتشح بعباءة الموت ، لذا لم يجد له من سبيل لمواجهة هذا الغول البشع المتمثل بالموت إلا الفناء والشعر لمجابهة لحظة انكسار الروح وضعف الإرادة التي ليس لها إلا الرضا والصبر والإذعان لهذه السلطة الجبرية القاسية على الحياة والإنسان ، كما أن انتقال المشاهد وتنوعها في هذا النص جاء لمسايرة نقل ما بالنفس من هموم لأن الشاعر وكما يظهر في أول القصيدة عمل على تقديم الكوني الواقعي على الذاتي الإنساني ، إذ بدأ بما هو خارجي ثم تفاعل إلى داخل النفس البشرية للحديث عنها بشكل أوسع وأعمق

هذا الجو المشبع بالحوت لم يكن على مستوى الألفاظ وما تشير إليه من دلالات ، وليس على مستوى المضمون العام للنص ، بل تسلل هذا الأمر ليتمركز بالعظم الذي بُنيَ اللحم عليه وهو الوزن الشعري للقصيدة ، وذلك أن المتأمل بدقة والمتبحر بأحاسيس مرهفة في إيقاعية هذه الأبيات يجد أنها أصوات ندب ونواح علاوة على قافيتي الدال الدالة كحرف على الاضطراب والاهتزاز والضجيج كونه أحد حروف القلقة ، وسنأخذ البيت الأول والبيت الأخير للتدليل على ما في هذا النص من صخب إيقاعي ونواح موسيقي ، ونترك للقارئ إمكانية تقحص أجزاء النص الإيقاعية الأخرى

مطر، وكن السما: تكلي
تفضفض مداد
والأرض تشرب: دموع الغيم
تنبت: كمد
أو قوله
مطر، وهذي السما تكلي
فـ ثوب الحداد
ضاقت، وطاحت: فـ دحضن الأرض
تبكي: سعد

حيث يوحي هذا الوضع إلى إمكانية تخيل جوقة من المنشدين يرددون خلف الشاعر " تفضفض مداد ... تنبت: كمد ... فـ ثوب الحداد ... تبكي سعد " في كل مرة يقول فيها جملته الشعرية وكأن هذه الروح الفنائية النواحية محاولة من الشاعر للتخفيف على نفسه إزاء هذا الشعور المثقل بالحزن والموت والفقد

ومن خلال كل ما سبق سرده يتضح لنا بأن الحالة الجنائزية التي كانت مصاحبة للنص الشعري للشاعر وديع الأحمدي كانت تكسو اللحم والعظام في هذه الأبيات التي انتشحت بالسواد وخيمت عليها أجواء الكآبة

محمد مهاوش الظفيري

رهين المحبسين

الحميدي الثقفي ، بهذا النص طويل القامة ، قصير الكلمات ، بعيد المدى ، وافر الهدى يبعث في نفوسنا بهجة الشعر ، وجدوى الكلمات .

هو ليس من تمر كلماته وقصائده دون ان تتحسس ذقن ذائقتك وتطمئن من جديد وتبتسم ابتسامة تحمل الكثير من المعاني والاغاني والأماني ، فتعود للقراءة من جديد فتعرف ان من يستطيع ان يفعل بك ذلك هو لا شك من عودك على القيام بمثل هذا الأمر كثيرا وطويلا :

أنـا رهـين المحبسين امنيتاتي
الواقع اللي صرت اعيشه بجدة !

جده وهي جده: تليق بشتاتي
مارّوضت:حزني وهي عاد جده

سألتني:وش ستر كثر إلتفاتي
هـذاك تبني بـه.. وهـذا تهده

الخـوف:هـذا المستبد بحياتي
تعرف حياة الخايف/المستبده!!

الحميدي الثقفي

جذع أثل

ماندرين..
كنتي ماندرين..
إني كنت لحظتها حزين!!
يوم جيتي
بكل بياض تحريتك
أنا:
كنت في قلب أحزاني سجين!
ويوم جيتي بكل طاهر مزونك
أنا كنت لحظتها..أخونك..
مع جفافي..
وجرح في صمتي دفين!!
وإنتي كنتي..
تسولفين..
وتسولفين..
كنتي مليانه بهى
وآنا فارغ..
إلا من أوراق صفرا
وجذع "أثل"..مرمى
وحس ليل
وآهة سكين!
وإنتي ماندرين..
كنتي ماندرين..
كان عطرك يشعل الدنيا حرايق
يعيد تجمير الكلام
كان يغزل
من تفاصيل الرغبه..آهات وحمام
وكنت أنا بارد
وشارد
مرّ عطرك
في يدي برد وسلام!

ماولّع ثيابي
ماعلّق أهدابي
وأحرمها منام!

ماطيّر إيديني فراش
وماصلبتني
بين حلاله.. والحرام!
تتخيلين...؟
مرّ عطرك
في يدي برد وسلام!
كنت لحظتها هجين
من سراب... وطين
وإنتي ماندرين..
كنتي ماندرين..
ليلتها كانت ضحكتك..
مينا..وشراع... ونوارس
كانت أحلى من أغاني عرس
ومن نسيم يمر هامس
ضحكتك كانت مثل....
وجه شمس بليل دامس
كان لها:
فيّ..
وعصافير..
وعبير..
ومع هذا ماسحرتني...!
عيّت بقلبي تلامس...
أي إحساس وشعور
أو ندون فيني هاجس
كنت لما ابتسم وأجاملك
كان وجهي بداخلي..

قطعه من حنظل ..
ويابس!
كان عابس!
وآنا حابس..
في كفوف الصبر حزني
مالي تدرين إني
كنت ذيك اللحظه محيط..
متكسر..
مسكين..
وإنتي ماندرين..
ياعيوني أنا آسف
كنت ذيك الليله
جاحد..نعمة الوصل وحنانك
وماتيسر من رضاك..
وماك..
وسحر الياسمين..
أنا آسف..
أعتذرلك..
أعتذر لإحساس شوقك..
صبح قلبك..
والعطر..
والدين!
آنا آسف..
كثر
مافاتني ذاك المسا
من حنانك والحنين
كثر ماعمري نقص ذاك المسا
نور وسنين
كثر ماأخطى عليك
وإنتي دايم تغفرين!
كثر مابقى غروب بلحظتك
وإنتي دوم بلحظتي..
يالحبيبه
تشرقين...

مسفر الدورسري